المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة أم القرى
كلية الدعوة وأصول الدين
الدراسات العليا
قسم الكتاب والسنة

شَرْحُ قَصِيْدَةِ أَبِي مُزَاحِمٍ الخَاقَانِيِّ التي قالها في القُرَّاءِ وحُسْنِ الأَداءِ

للإمام الحافظ أبي عمرو عثمان بن سعيد الداني (٣٧٢ - ٤٤٤هـ)

«قسم الدراسة»

رسالة (الماجستير)

دراسة وتحقيق: غازي بن بنيدر بن غازي العمري الحربي
إشراف (الدكتور): محمد ولد سيدي ولد حبيب الشنقيطي

الجزء الأول

عام (١٤١٨ هـ)

بسم الله الرحمن الرحيم

فلا يرضينَّ امرؤ لنفسه في كتاب الله -جلَّ ذكره- وتجويد ألفاظه، إلا بأعلى الأمور، وأسلمها من الخطأ والزلل.

(مكي القيسي)

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة البحث:

اللهم إني أحمدك على نعمك التي لا تحصر، وأفضالك التي لا تنكر، أنزلت علينا خير الكتب، وأرسلت إلينا أفضل الرسل، وأسبغت علينا وافر النعم، أحمدك حمد الشاكرين، المقرِّين بالعجز والتقصير، المعترفين بالخطأ والإسراف والتبذير.

وأصلي وأسلم على النبي الكريم، السراج المنير، الهادي البشير، سيدنا ونبينا محمد بن عبد الله، ما تعاقب الليل والنهار، صلاة وسلاماً تامَّين كاملين كما أمر الله. أرسله الله رحمة للعالمين؛ فأنقذ الله به من اتبعه من النار، وأرشد به إلى الهدى بعد الضلال، فرفع من أطاعه، ووضع من عصاه وخالف أمره، وكتب الصَّغار على من تنكَّب عن هديه.

أنزل عليه كتاباً هو معجزته الخالدة، «لا تزيغ به الأهواء، ولا تلتبس به الألسنة، ولا يشبع منه العلماء، ولا يَخلَق عن كثرة الرد، ولا تنقضي عجائبه...»[1] قد عجز الفصحاء عن معارضته والإتيان بمثله، مع وصفهم له -كذباً- بأنه مفترى وسحر...، وتحدَّي الله لهم بأن يأتوا بسورة من مثله... وهذا أمر باق إلى قيام الساعة؛ لا يستطيع أحد أن يقلِّده أو يماثله.

فقد تكفَّل -سبحانه- بحفظه؛ فلا يستطيع أحد -مهما بلغ من العلم والقوة والمكانة- أن يزيد فيه حرفاً، أو ينكر منه لفظاً، أو يدَّعي فيه تحريفاً، أو يأتي بمثله، أو سورة منه، أو آية من آياته، أو يشكك في نقله، أو ينفي تواتره، مقيماً على ذلك حجَّة، مصدقاً عند العقلاء.

---

[1] انظر: «فضائل القرآن» لابن كثير (١٧-١٨) ذكره بكامله من رواية الحارث الأعور عن علي ابن أبي طالب ﷺ ثم قال: وقصارى هذا الحديث أن يكون من كلام أمير المؤمنين علي ﷺ وقد وهم بعضهم في رفعه، وهو كلام حسن صحيح ...

فكان من حفظ الله له أن اصطفى لنقله وتبليغه أئمة عدولاً على مرِّ العصور، توافروا على تبليغ ألفاظه وحروفه وحركاته، وقراءاته ورواياته، ووقوفه وعدِّ آياته، من لدن أصحاب رسول الله ﷺ إلى عصرنا هذا، فكان منهم البدور المنيرة، الأئمة العشرة، ومن أخذ عنهم من أماثل تلاميذهم، ومن تشرف بشرف نقل هذا الكتاب ممن جاء بعدهم إلى يومنا هذا، فلم يخل -بحمد الله- منهم قرن، ولا خلا زمن من قائم لله بالحجة؛ ينفي عن كتابه تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين.

قد قضوا أعمارهم، وصرفوا أوقاتهم في تعلم هذا الكتاب العظيم وتعليمه، فكانوا هداة الأمة، وقدوة الأئمة، عدولاً ثقات، لم يجرحوا بجارحة؛ إذ إمامتهم ظاهرة واضحة، ومن تكلم فيهم رُدَّ قوله، وهُجر كلامه؛ إذ لم يلتفت إليه أهل الشأن والفن، ولا غيرهم من أئمة الجرح والتعديل، فهم نقلة كتاب رب العالمين، ومبلغو وحيه إلى الناس أجمعين، وناشرو شرعه العظيم، ومن اندسَّ بينهم، أو لبس لباسهم، فأراد أن يُلبِّس على الناس أمرهم، فضحه الله على رؤوس الأشهاد، فصار عبرة للحاضر و الباد، لم يؤخذ عنه شيء، و لم يُثْنَ عليه بخير.

وإنما الأخذ عن الثقات، السالكين منهج شيوخهم العدول، المتبعين الآثار والصحيح من المنقول، في القراءة والإقراء «لم يلتفتوا إلى أقاويل الشعراء، وأصحاب اللغات، أصاغر عن أكابر، مليّ عن وفيّ، ... يسمعون في القرآن ولا يستعملون فيه بالرأي»[٢]

قولهم: «القراءة سنة»[٣] أي: يأخذها الآخر عن الأول.

فكان هذا منهج التلقي من تلك العصور: الأخذ عن الشيوخ مشافهة، يتلقى التلميذ من شيخه القرآن كله من أوله إلى آخره، يُقرِئه كما قرأه على شيوخه، فإذا ما أتم ذلك أجازه إن كان أهلاً، وإلا منعه.

حتى كان أحدهم لا يدع من يقرأ عليه يترك غنَّة ولا تشديداً ولا غيره من دقائق التجويد حتى يأخذه عليه، ويردَّه إليه، وإذا نسي أحد وجهاً من وجوه القراءة

---

[٢] اقتباس من كلام الإمام نافع بتصرف يسير، انظره تامّاً في «شرح القصيدة الخاقانية» برقم (٩٠)

[٣] انظر: الروايات (٤٥-٤٩).

يضرب بيده على الحصير، فإن أفاق القارئ ورجع إلى نفسه أمضاه له، وإلا لا يزال يقول للقارئ ما فرغت حتى يعييه، فإذا عيي رد عليه الحرف، ثم يكتبه عليه، فإذا ختم وطلب الإجازة سأله عن تلك المواضع التي نسيها أو غلط فيها في سائر الختمة، فإن أجاب عنها بالصواب كتب له الإجازة، وإن نسي قال له: أعد الختمة؛ فلا أجيزك على هذا الوجه.[٤]

وقد كان هذا الشأن في تلقين رواية واحدة أو عدة روايات؛ لا فرق بين تعليم التجويد وإقراء القراءات، يقرأ التلميذ على شيخه القرآن من بدايته إلى نهايته، يتعلم منه كيفية النطق الصحيح، وحسن الأداء السليم، ويتلقى خلاف الأئمة في حروف القرآن المتواترة.

واستمرَّ هذا الحال إلى أن جاء عصر التدوين، فجمعت القراءات، وتتابع القراء في التأليف فيها، فكان لكلٍ منهجه ومسلكه، وتباينت فيها المصنفات: ما بين مفرِد وجامع، وناظم وناثر، ومؤلف في السبع وغيرها، أو في الشاذ الذي لا يُقْرأ به، إنما يعتمد عليه في اللغة والنحو.

وكانت هذه المصنفات تحوي كثيراً من مباحث التجويد وأحكام القراءة، لم تنفصل عنها إلا في أواخر القرن الثالث أو أول القرن الرابع الهجري، حين نظم الإمام الكبير أبو مزاحم موسى بن عبيد الله بن يحيى الخاقاني (٢٤٨-٣٢٥هـ) قصيدته الرائية في التجويد، فكانت أول مؤلَّف في هذا العلم، لم يسبق إلى ذلك -رحمه الله- كما سيأتي بيانه، إن شاء الله.

ثم تتابعت المؤلفات بعد ذلك في هذا الفن، فكان مِنْ أول مَنْ صنَّف كتاباً في التجويد -ذَكَرَ فيه جُلَّ موضوعاته وحصر فيه مباحثه...- أبو عمرو عثمان بن سعيد الداني، شيخ القراء، وإمام الأئمة (٣٧١-٤٤٤هـ) في كتابيه:

١- «**التحديد في الإتقان والتجويد**»: وهو مطبوع.

---

[٤] انظر «غاية النهاية» (٢/٥٨)

٢- «**شرح قصيدة أبي مزاحم الخاقاني في القراء وحسن الأداء**»: وهو هذا الكتاب الذي أعمل على دراسته وتحقيقه.

وشرح أبي عمرو لرائية أبي مزاحم شرح العالم المتمكن من علوم القراءات جميعها، الأقدر والأجدر ببيان معانيها، وتوضيح أحكامها.

[أسباب اختيار الكتاب]

فامتاز هذا الكتاب بكونه أول شرح لأول نظم في هذا العلم.

وليس هذا فحسب:

* بل اشتمل الكتاب على مباحث جليلة من مباحث القراءات والتجويد، وانفرد بفوائد عزيزة لا تكاد توجد في غيره.
* وضم عدداً كبيراً من مشاهير القراء الكبار، وترجم مؤلفه فيه للسبعة أئمة الأمصار.
* وأسند فيه من الأحاديث والآثار والأقوال المتعلقة بتلاوة القرآن، وفضائله، وأحكام قراءته، وأخبار القراء، وما نقل عنهم في التجويد، شيئاً كثيراً.
* وبيَّن فيه معظم أحكام التجويد -إن لم تكن كلّها- أيما بيان، وحقق فيها القول أيما تحقيق، وحوى من الفوائد والفرائد، واللطائف والنكت الغرائب، ما لا يكاد يوجد في غيره.

ولما سبق -وغيره كثير- اخترت تحقيق هذا الكتاب ودراسته، واستسهلت الصعب في جانب نشره وإخراجه لأهل العلم لينتفعوا به.

أضف إلى ذلك: ما الحالة داعية إليه من التأصيل في هذا الفن؛ بالرجوع إلى مصادره الأصيلة، ليُحتكم إليها عند الاختلاف، ويفيد منها أهل الشأن وغيرهم في تآليفهم وبحوثهم.

فكان إخراج هذا الكتاب مشاركة للسابقين من المحققين في نشر أصول التجويد نشراً يليق بمكانتها، ويضفي على هذا الفن عظمته ومنزلته الرفيعة.

[خطة البحث]

وأما عن منهج الدراسة والتحقيق، فقد سِرْت فيه على هذه الخطة:

جعلت الكتاب في مجلدين:

المجلد الأول: وفيه دراسة وافية عن الكتاب تشمل:

۞ **مقدمة البحث:**

وفيها الحديث عن نشأة التأليف في القراءات والتجويد باختصار شديد، والإشارة إلى أن قصيدة أبي مزاحم الخاقاني هي أول مصنف في التجويد، وذكر مزايا شرح الداني لها، وبيان أسباب اختياره، وذكر منهج التحقيق والدراسة مفصلاً، ثم بيان الصعوبات في هذا العمل.

۞ **التمهيد، وفيه ثلاثة فصول:**

الفصل الأول: **نشأة علم التجويد، والتأليف فيه.**

الفصل الثاني: **مصادر التجويد الأصيلة.**

الفصل الثالث: **العلاقة بين التجويد والقراءات.**

۞ **الدراسة، وفيها بابان:**

الباب الأول: دراسة عن الناظم والشارح، وفيه فصلان:

الفصل الأول: دراسة عن الناظم، في المباحث التالية:

المبحث الأول: نسبه.

المبحث الثاني: أسرته.

المبحث الثالث: مولده وحياته.

المبحث الرابع: شيوخه.

المبحث الخامس: تلاميذه.

المبحث السادس: أخلاقه وثناء العلماء عليه.

المبحث السابع: علمه ومكانته (وفيه ذكر لبعض أقواله في الرجال، ورواياته في شتى العلوم)

المبحث الثامن: آثاره.

المبحث التاسع: شعره.

المبحث العاشر: وفاته.

الفصل الثاني: دراسة عن الشارح، في المباحث التالية:

المبحث الأول: نسبه.

المبحث الثاني: مولده وحياته.

المبحث الثالث: شيوخه.

المبحث الرابع: تلاميذه.

المبحث الخامس: علمه ومكانته، وثناء العلماء عليه.

المبحث السادس: آثاره.

المبحث السابع: وفاته.

الباب الثاني: دراسة المخطوطة، وفيه فصلان:

الفصل الأول: دراسة المنظومة، وفيه خمسة مباحث:

المبحث الأول: عنوانها.

المبحث الثاني: نسخها.

المبحث الثالث: أهميتها ومزاياها.

المبحث الرابع: معارضاتها.

المبحث الخامس: أثرها في كتب التجويد والقراءات.

الفصل الثاني: دراسة الشرح، وفيه ستة مباحث:

المبحث الأول: تحقيق عنوانه.

المبحث الثاني: تحقيق نسبته إلى مؤلفه.

المبحث الثالث: مزاياه وأهميته.

المبحث الرابع: مرويات الداني في شرحه.

المبحث الخامس: وصف نُسخ الكتاب.

المبحث السادس: عملي في التحقيق والتعليق.

۞ **فهارس الكتاب، وهي:**

١) فهرس الآيات القرآنية..

٢) فهرس الأحاديث الشريفة.

٣) فهرس الآثار والأقوال.

٤) فهرس الأعلام.

٥) فهرس الكتب.

٦) فهرس الأشعار.

٧) فهرس المواضع والبلدان.

٨) فهرس الفوائد.

٩) فهرس أبيات القصيدة.

١٠) فهرس المصادر والمراجع.

١١) فهرس الموضوعات.

المجلد الثاني: ويحوي النصّ المحقق، مع التعليق عليه، وتخريج ما فيه من أحاديث، وعزو ما فيه من آيات، وبيان ما يحتاج إلى بيان، حسب قواعد تحقيق المخطوطات المعروفة. وسيأتي تفصيل الكلام في ذلك في الدراسة في فصل: «عملي في التحقيق والتعليق» إن شاء الله.

[الصعوبات والمتاعب]

هذا وقد واجهتني في إخراج هذا الكتاب مصاعب عدة، من أهمها:

١- العمل في تحقيق الكتاب على نسخة وحيدة، فيها كلمات محرفة، وألفاظ مصحفة، وسقط ونقص في بعض المواضع، قبل الحصول على نسخ أخرى سيأتي وصفها إن شاء الله، مما تطلب جهداً كبيراً في تقويم الخطأ، واستدراك النقص...

٢-كثرة الأحاديث والآثار المسندة التي تتطلب وقتاً كبيراً في تخريجها، ومنها ما يسنده المؤلف من طرق عزيزة.

٣-طول الدراسة التي اقتضتها طبيعة الكتاب، فهو أول شرح -ولعله الوحيد- لأول نظم في التجويد، وكلاهما لإمامين مقرئين كبيرين، ومادته مليئة بالفوائد والنوادر، والأحكام والمسائل العلمية..

[شكـــر وعرفان]

فالحمد لله والشكر له أولاً على توفيقه وامتنانه بإتمام هذا العمل، ومـا نحـن إلا بـه وعليه، فهو المعين الحافظ، الرؤوف الرحيم، فالحمد لله حمداً كثيراً، والشكر له شكراً عظيماً، كما يحب ويرضى، عدد خلقه، ورضا نفسه، وزنة عرشه، ومداد كلماته.

ثم إنه من الواجب عليَّ توجيه الشكر والعرفان بخاصة لأستاذي الجليـل، وشـيخي الكبير، فضيلـة المشـرف علـى رسـالتي، ومقـوم عوجـي -بعـد الله سـبحانه- فضيلـة (الدكتور) محمد ولد سـيدي ولـد حبيـب الشـنقيطي حفظـه الله، وبـارك في علمـه، وأحسن عمله، وأصلح ذريته وولده. فقد كان نعم العـون لي بعـد الله، فتـح لي قلبـه وبيته ومكتبته، وأفادني من علمه الجمّ، فرعاه الله، وسدد خطاه.

وكذلك أشكر لفضيلة الأستاذ (الدكتور): حكمت بشير ياسين- الأستاذ في كلية القرآن الكريم بالجامعة الإسلامية- توجيهه وتسديده، جزاه الله كل خير.

وأشكر شكراً كثيراً لكلّ من سـاعدني وأفـادني وأتحفـني مـن أسـاتذتي وزملائـي وإخواني، وهـم كثير جداً، في ذكرهم إطالة، والعجـز عـن شكرهـم وذكرهـم وارد، لكن أخصُّ منهم:

فضيـلة الشـيخ المقـرئ: أيـمـن رشـدي سويـد.

فضيلة الأستاذ (الدكتور): محمد يعقوب تركستاني.

فضيلة (الدكتور): ف عبـد الـرحـيـم.

فضيلة (الدكتور): حـازم سعيـد حيـدر.

فضيلة (الدكتور): يوسـف مرعـشـلي.

الأخ: حسن بن أحمد العمري.

وأخـي: بدر بن بنيدر العمـري.

كما أوجّه الشكر والتقدير لجامعة أم القرى ممثلة بكليـة الدعـوة وأصـول الديـن، وأخصُّ بالشكر كلاً من فضيلة عميد الكلية الأستاذ الدكتور / محمد سعيد بخـاري ، وفضيلة وكيل الكلية الدكتور / غالب الحامضي، وفقهما الله لهداه.

كما أشكر للأستاذين المناقشين: فضيلة الدكتور: شعبان محمد إسماعيل، وفضيلة الدكتور: عبد القيوم بن عبد الغفور السندي، قبولهما مناقشة هذه الرسالة، وتحملهما أعباء قراءتها وتقويمها.

فلهم جميعاً مني جزيل الشكر، ومن الله تعالى عظيم الأجر، على ما بذلوه من جهد في سبيل نشر العلم.

والحمد لله أولاً وآخراً، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.

وكتبه/ غازي بن بنيدر العمري الحربي

يوم الخميس ١٤١٧/٧/٢٤هـ

المدينة النبوية.

التمهيد وفيه ثلاثة فصول:

الفصل الأول: نشأة علم التجويد، والتأليف فيه.

الفصل الثاني: مصادر التجويد الأصيلة.

الفصل الثالث: العلاقة بين التجويد والقراءات.

الفصل الأول:

نشأة علم التجويد، والتأليف فيه:

التجويد: مصدر للفعل «جَوَّد». (والجيد: نقيض الرديء.. وجاد الشيءُ جُودة وجَودة، أي صار جيداً. وأجدت الشيء فجاد، والتجويد مثله)[1]

وهو في اصطلاح الفن: إعطاء كل حرف حقه من مخرجه وصفته.

وتجويد القراءة يتوقف على أربعة أمور، هي:

- معرفة مخارج الحروف.
- معرفة صفاتها.
- معرفة ما يتجدد لها -بسبب التركيب- من الأحكام.
- رياضة اللسان بذلك وكثرة التكرار.[2]

قال ابن الجزري: «**ولا أعلم سبباً لبلوغ نهاية الإتقان والتجويد، ووصول غاية التصحيح والتسديد، مثل رياضة الألسن، والتكرار على اللفظ المتلقى من فم المحسن، وأنت ترى تجويد حروف الكتابة كيف يبلغ الكاتب بالرياضة وتوقيف الأستاذ ...**»[3]

والتجويد لم يكن معروفاً في القرون الثلاثة الأولى بهذا الاسم!

إنما كانت هناك مصطلحات مرادفة له، أو هي من بعض مباحثه، كانت مستعملة في تلك القرون، مثل: التحسين، التغني، الترنم، الترتيل، التبيين، التحقيق، التمهل، الترسل، التؤدة، التحبير، حسن التلاوة ...

وإنما استعملت لفظة «التجويد» في القرن الرابع أو أول الخامس تقريباً فصارت عَلَماً على هذا العلم.

---

[1] «اللسان» (٣/١٣٥) وانظر «القاموس المحيط» (٣٥٠)

[2] انظر «المفيد في شرح عمدة المجيد» (ص٣٨) و «شرح الواضحة في تجويد الفاتحة» (ص٢٩-٣٠) كلاهما لابن أم قاسم المرادي (ت٧٤٩هـ)

[3] «النشر» (١/٢١٣)

وهذا شأن جميع الفنون: تكون معروفة المضمون، لكن مصطلحاتها تمرُّ بمراحل كثيرة إلى أن تستقر على مصطلح أو مصطلحات تثبت ثبوت الجبال.

وسبب ذلك -فيما يظهر- هو التصنيف، الذي هو تقعيد للقواعد، وتبيين للجزئيات والكليات، وبحث موسع، وضم للمشتت المفرق، وجمع للنصوص والأقوال، واستيضاح غريب مصطلحاتها، وحقيقة معانيها، ورد ذلك إلى أصوله، وتوزيعه على فصوله، والتمثيل لذلك بأوضح الأمثلة المبينة، وفوق هذا كله «تدوين لشتات العلوم»[1]

فلفظة «التجويد» استعملت علماً على هذا الفن في وقت متأخر، وإنما كان يعرف ويُدْرَس ويُدَرَّس ويصنَّف فيه بمصطلحات مرادفة له أو هي من مباحثه.

فالمضمون واحد والاسم مختلف.

وفي هذا دليل على أن هذا العلم قديم، وأنه لا ينفك عن تلاوة القرآن؛ إذ هو متلقى -مع القرآن- عن الله سبحانه.

واختلاف المصطلح لا يرد الأصل الصحيح، ولا مشاحة في الاصطلاح ما دام الخلاف في الأسماء وأن المبنى والمعنى واحد.

فإن قلت: جوِّد القرآن، أو حسِّن قراءتك به، أو رتِّله، أو حبِّره، أو اقرأه بالترتيل أو التبيين أو الترسل أو التجويد ... فالأمر واحد في الأصل.

وإنما صار لكل مصطلح معنى بعد ثبوت المصطلحات وتطور الفنون، وإلا فمفاد ذلك كله: إتقان القراءة: بسلامة المخرج، وإعطاء الصفة للحرف، وتحسين اللفظ به مع مراتب التلاوة كلها، مع معرفة النطق الصحيح له إفراداً وتركيباً...

فبان مما سبق أن التجويد علم قديم، لم يُقْرأ القرآن إلا به، أما اعتماده عَلَماً على هذا الفن فإنه جاء متأخراً.

---

[1] وفي هذه المرحلة من التصنيف -وبخاصة التأصيل- يختار المصنف مصطلحات الفن اللائقة، ويفيد من المتفرقات السابقة، ويصنف المعلومات على الكتب والأبواب ... الخ

فلا غرو إن حصل في الكتب السابقة تكرار، أو استُدرك عليها شيء كثير، فالعلمُ بالبحثِ والتصنيفِ والاستدراكِ المتممِ في تطور، وهذا لا يعني الابتداع !!

وبتتبع المصطلحات السابقة المستخدمة قبله يبين لنا أنه مرَّ بمرحلتين:

١- مرحلة القراءة والإقراء به منذ عهد رسول الله ﷺ وإلى زمن التصنيف فيه. (أول القرن الرابع الهجري تقريباً).

وفي هذه المرحلة كان تلقي القرآن عن طريق المشافهة به لفظة لفظة، وكلمة كلمة، لم تكن هناك قواعد عامة تُتعلم منها أحكامه.

ودلائل تنزيل القرآن بالتجويد أو بالترتيل -وهما واحد حسبما سبق تقريره- كثيرة، نشير إلى بعضها فيما بعد، إن شاء الله.

٢- مرحلة التصنيف فيه:

وإمام هذه المرحلة، السابق فيها هو: أبو مزاحم الخاقاني (ت٣٢٥هـ)، لم يسبق إلى ذلك -رحمه الله- فيما أعلم؛ حيث نظم «قصيدته الرائية» في التجويد، ثم تتابعت القصائد والمصنفات من بعده في هذا العلم، وسيأتي ذكر لذلك في «مصادر التجويد الأصيلة».

وفي هذه المرحلة لم تستخدم لفظة «التجويد» إلا في آخر القرن الرابع تقريباً، أو أول الخامس، أما قبل ذلك فلم أجد لها ذكراً عند الخاقاني أو الملطي (ت٣٧٧هـ) أو غيرهما.

وتأخُّرُ التصنيف في التجويد إلى القرن الرابع لا يجعله مما ابتدع واخترع، وقد تعلق قوم بهذه الشبهة فزعموا تلك الفرية العارية، **وليس قِدَم التأليف في فنٍّ ما دليلاً على أصالته أو صحته!** إنما العبرة بأصوله، وأسانيده، وقواعده الكلية المستعملة في العصور كلها.

والقرآن أنزله الله على نبيه محمد ﷺ مرتلاً مجوداً، بواسطة جبريل عليه السلام والنبي ﷺ قرأه وأقرأه لصحبه رضي الله عنهم كذلك، وهم أقرؤوه منْ بعدهم كذلك إلى أن وصلنا.

ولهذا دلائل كثيرة من الكتاب والسنة، سأذكر منها ما تيسَّر:[1]

---

[1] الدلائل التالية، والإطالة الآتية، لتقرير أمر يغفل عنه الكثير، وهو تبيين السبيل الوحيد لتعلم القرآن العظيم، وأنه ⇐

أ- الأدلة من الكتاب:

١- قال تعالى: ﴿وقرءاناً فرقناه لتقرأه على الناس على مكث﴾ [الإسراء ١٠٦]

قال الإمام الأمين الشنقيطي -رحمه الله-: (وقد بيَّن -جلّ وعلا- أنه بيّن هذا القرآن لنبيه ليقرأه على الناس على مكث، أي: مهل وتؤدة وتثبت. وذلك يدل على أن القرآن لا ينبغي أن يقرأ إلا كذلك.

وقد أمر الله تعالى بما يدل على ذلك في قوله: ﴿ورتل القرءان ترتيلاً﴾ ويدل لذلك أيضاً قوله: ﴿وقال الذين كفروا لولا نُزِّل عليه القرءان جملة واحدة كذلك لنثبت به فؤادك ورتلناه ترتيلاً﴾ ...)[1]

أقول: وإذا قرأ المرء القرآن كذلك: فصّل حروفه وبيّنها، وراعى فيها ما يجب لها مما اصطلح عليه من أحكام قراءة القرآن، فهذا هو التجويد.

هذا إذا استحضرنا أن المخاطبين بذلك- في ذلك الوقت - ممن جمعوا بين سلامة المخارج، وفصاحة الكلام، ودقة النطق، ورقة الطبع، فلذلك إذا رتلوا كلامهم أو قراءتهم القرآن لم يحتاجوا إلى زيادة اعتناء بالمخارج، وبيان صحيح لصفات الحروف؛ لأن ذلك من طبيعتهم، وألسنتهم عربية سليمة لم يفسدها اللحن، و لم تخالطها العجمية.

هذا بالإضافة إلى تعليم جبريل عليه السلام للنبي ﷺ، ثم تعليم النبي ﷺ لصحابته القرآن، وهكذا: يتعلمون الأداء الصحيح، والترتيل السليم.

يكون بتلقي القرآن عن أهله الذين تلقوه عمن قبلهم من أئمة القراءة والإقراء، وأن ذلك سنة متبعة... وبيان الأدلة على ذلك من الكتاب والسنة، وذكر آثار وأقوال للأئمة في ذلك.

وليس تقريراً لوجوب التجويد كما قد يفهم؛ إذ إن الأدلة المذكورة هنا ليست كلها نصاً في هذه المسألة، وحكم القراءة بالتجويد، وحكم تعلم أحكامه، وما يتعلق بذلك، أكبر من أن يفرد له مبحث أو فصل، ولذا لم أذكره في هذا التمهيد؛ حيث تجاوز الحد المعقول في الأبواب والفصول، فرأيت أن أفرده ببحث مستقل، ينشر وحده إن شاء الله.

[1] «أضواء البيان» (٥٧٦/٣). وجاءت الآية فيه: ﴿وقالوا لولا نزل ...﴾!! [الفرقان٣٢]

٢- وقال تعالى: ﴿ ورتل القرءان ترتيلاً ﴾ [سورة المزمل ٤]

قال ابن كثير:[١] (أي: اقرأه على تمهل؛ فإنه يكون عوناً على فهم القرآن وتدبره. وكذلك كان يقرأ صلوات الله وسلامه عليه، قالت عائشة: «كان يقرأ السورة فيرتلها، حتى تكون أطول من أطول منها»[٢]

و في صحيح البخاري[٣] عن أنس أنه سئل عن قراءة رسول الله ﷺ فقال: كانت مدّاً، ثم قرأ: ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ يمد ﴿بسم الله﴾ ويمد ﴿الرحمن﴾ ويمد ﴿الرحيم﴾.

وقال ابن جريج عن ابن أبي مليكة عن أم سلمة أنها سئلت عن قراءة رسول الله ﷺ فقالت: كان يقُطِّع قراءته آية آية: ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ۞ الحمد لله رب العلمين ۞ الرحمن الرحيم ۞ ملك يوم الدين ﴾...)[٤].

أقول: وهذه الآية: ﴿ورتل القرءان ترتيلاً ﴾ من الأدلة على وجوب ترتيل القرآن؛ فإن الأمر فيها للوجوب، ولا صارف له عن ذلك. وادعاء الخصوصية بالنبي ﷺ لا دليل عليه.

قال ابن النحاس: (والقراءة بالترتيل والمكث واجبة بنص القرآن. والترتيل: التبيين)[٥]

٣- وقال تعالى: ﴿وإنك لتلقى القرءان من لدن حكيم عليم﴾ [سورة النمل ٦]

ن الأدلة ـــى حـــوب قـــراءة تجويد]

---

[١] «تفسير ابن كثير» (٢٧٦/٨) وقد توسّع الإمام الداني في ذكر هذه الأحاديث والآثار في شرحه، وهناك تخريج ما نقلته عن ابن كثير، وما سأذكره زيادة عليه من الأدلة من السنة، والإحالة في ذلك على رقم الرواية.

[٢] انظر في تخريجه الرواية (٩٧) في «شرح الخاقانية» من رواية حفصة رضي الله عنها.

[٣] انظر في تخريجه الرواية (٨٩) في «شرح الخاقانية»

[٤] انظر في تخريجه الرواية (٢٨٨) في «شرح الخاقانية»

[٥] «القطع والائتناف» (٧٣)

قال الطبري:[1] **(وإنك يا محمد لتحفظ القرآن وتعلمه ﴿من لدن حكيم عليم﴾)**

وقال البغوي:[2] **(أي تؤتى القرآن وتلقن)**

ومثلها آية سورة القيامة: **﴿فإذا قرأناه فاتبع قرءانه﴾**[3] أمر النبي ﷺ أن يستمع وينصت لقراءة جبريل عليه السلام ...

ويفسِّر هاتين الآيتين الأحاديث الواردة في عرض النبي ﷺ على جبريل، وقد ذكر الداني منها شيئاً غير قليل في "شرحه"، فلا أطيل بإعادته.[4]

ب- الأدلة من السنة:

وقد أكثر الداني في «شرحه» من إيراد الأحاديث والآثار التي تدل على أن القرآن يقرأ كما أنزل، ويتلقى كما تُعُلِّم، وأنه يلقَّن كما أخذه النبي ﷺ عن جبريل مجوداً مرتلاً، ولذا سأقتصر على بعضها دون شرح أو توضيح؛ إذ ذلك يستدعي وقفات كثيرة، فمن تلك الأدلة:

٢٣[5] ۞ عن علي رضي الله عنه قال: «**إن رسول الله ﷺ يأمركم أن يقرأ كل رجل منكم كما عُلِّم**».

٢٤۞ عن عبد الله رضي الله عنه قال قال لنا علي ابن أبي طالب رضي الله عنه: «**إن رسول الله ﷺ يأمركم أن تقرؤوا القرآن كما عُلِّمتم**».

٢٥۞ عن عبد الله رضي الله عنه قال: **تمارينا في سورة من القرآن فقلنا خمس وثلاثون أوست وثلاثون آية فأتينا رسول الله ﷺ فوجدنا عليّاً يناجيه، فسألناه عن ذلك فغضب حتى احمرّ وجهه وقال: «إنما هلك من كان قبلكم باختلافهم بينهم» ، ثم أسَرَّ إلى عليّ شيئاً فقال لنا عليّ: «إن رسول الله ﷺ يأمركم**

---

[1] (١٣٢/١٩)

[2] "معالم التنزيل" (١٤٤/٦)

[3] آية (١٨)

[4] انظر الفقرة (٢٣) والروايات: ٣٥-٣٨

[5] هذه أرقام الروايات في الكتاب.

أن تقرؤوا كما عُلِّمتم».

٥٩ عن عثمان ﷺ قال **قال رسول الله ﷺ: «أفضلكم من تعلَّم القرآن وعلَّمه».**

وقد امتثل قراء الصحابة لهذه السنة النبوية، وجاءت عنهم أقوال مشابهة في ذلك، منها:

٥٥ عن عبد الله بن مسعود ﷺ قال: **«إني سمعت القَرَأَة فرأيتهم متقاربين، فاقرؤوا كما عُلِّمتُم، وإياكم والتنطع والاختلاف».**

٥٦ عن ابن مسعود ﷺ أنه قال: **﴿هَيتَ لك﴾ فقيل له: ﴿هِئْتُ لك﴾ فقال ابن مسعود: «إنا نقرؤها كما عُلِّمنا».**

٥٣ قال عبد الله بن مسعود ﷺ: **«اتبعوا ولا تبتدعوا فقد كفيتم».**

وجاء عنهم وعن غيرهم من التابعين فمَنْ بعدهم عبارة جميلة في ذلك، وهي: «القراءة سُنَّة». ويزيد بعضهم: «قراءة القرآن سُنَّة، يأخذها الآخر عن الأول»[1] ومن عباراتهم في ذلك:

٤٨ **« إن قراءة القرآن سُنَّة من السُّنَن، فاقرؤوه كما أُقرِئتموه».** [عروة بن الزبير]

٤٩ **«القراءة سُنَّة، فاقرؤوا كما قرأ أوّلوكم».** [عامر الشعبي]

وقال حسين الجعفي -في معنى قراءة النبي ﷺ على أُبيٍّ- : **«إنما أُمِر النبي ﷺ أن يقرأ على أُبيّ ليتعلم أُبيّ ألفاظه فيعلمها الناس».**

٤٣ وقال أبو عبيد القاسم بن سلام: **معنى هذا الحديث عندنا: أن رسول الله ﷺ إنما أراد بذلك العرضِ على أُبيٍّ أن يتعلم أُبيٌّ منه القراءة ويستثبت فيها، وليكون عرض القراءة سنة.**

أقول: وقد كان النبي ﷺ يعلم الصحابة القراءة الصحيحة لآيات القرآن، مع تعليمهم ما فيها من أحكام تشريعية؛ يدل على ذلك الحديث

---

[1] جاء ذلك عن عدد من الصحابة والتابعين، وممن جاء عنهم ذلك أو قريباً منه في «الشرح»: زيد بن ثابت (رواية ٤٥ و٤٦) وعمر بن الخطاب، وعمر بن عبد العزيز (رواية٤٧)

الذي رواه البخاري في "صحيحه" عن جابر بن عبد الله ﷺ قال: «**كان رسول الله ﷺ يعلمنا الاستخارة في الأمور كما يعلمنا السورة من القرآن**»[1]

وهذا نص واضح، وهو عام في تعليم السورة من القرآن: أحكامها، ومعناها، وكيفية قراءتها.

والنصوص الواردة في عرض الصحابة على النبي ﷺ مؤيدة لهذا الاستدلال، موضحة له، وما سبق جزء منها.

قال الداني: **فالقراءة التي علّمَها رسول الله ﷺ أصحابه، ولقّنهم إياها، وأمرهم بالتمسك بها واللزوم عليها بقوله: «اقرؤوا كما عُلّمتم»، هي القراءة التي تلقاها التابعون عنهم تلقياً، ولا تؤخذ بأسرها كاملة، وعلى الوجه الذي أُدِّيت إليه ملخصة، إلا من طريق أئمة القراءة بالأمصار، الذين اجتمع على الائتمام بهم ... وعلى قبول خبر كل واحد منهم...عامةُ أهل الإسلام في جميع أقطار الأرض من المشارق والمغارب، فلم يختلفوا في ذلك، فكذا سبيل من أخذ عنهم واقتدى في اختياره بمذاهبهم.**[2]

أقول: ولازالت -بحمد الله- هذه السُّنَّة قائمة على أصولها إلى وقتنا، ينقلها الخلف عن السلف، واللاحق عن السابق، بأمانة العلم، ودقة الضبط بالتلقي والمشافهة، وهذا من حفظ الله لكتابه: «إنا نحن نزّلنا الذكر وإنا له لحافظون»[3]

---

[1] (١/٣٩١ ح:١١٠٩)

[2] انظر الفقرة (٢٥)

[3] سورة الحجر (آية ٩)